الجزائر: من توج الملك رفع عن رأسه التاج

■■ كتب محمد العربي زيتوت ■■

خيبة أمل أخرى أصيب بها بعض المتتبعين «للحالة الجزائرية». فلقد ظن الكثيرون أن الجنرال الرئيس اليمين زروال سيغتنم فرصة الخطاب التقليدي الذي يلقيه سنويا، ليلة الفاتح من نوفمبر، بمناسبة حلول عيد الثورة الجزائرية، لكي يتخذ خطوات يكون من شأنها التخفيف ولو قليلا، من مأساة الشعب الجزائري، التي ما انفكت تتعمّق كل يوم، وعلى كل المستويات.

ظنّ المتفائلين استند إلى أن زروال، لم يعد يخشى ما يخسره بعد أن اضطره رفقاؤه الجنرالات إلى الرحيل مبكّرا عن السلطة، فظنوا أنه سيتخذ قرارات لتجسيد الوعود التي ظلّ يبشّر بها منذ أن جيء به على رأس السلطة، في بداية عام ١٩٩٤، وهي «عودة السلم والأمن للشعب، والاستقرار للدولة والمجتمع»، الذين دمرتهم الحرب القذرة المستشرية منذ سبع سنوات.

كان تفاؤل المتفائلين قد كبر، عندما اضطر الجنرال محمد بتشين، وهو أقرب المقربين من الرئيس، إلى أن يرحل هو الآخر، تحت ضغط نفس الجنرالات، وبحملة إعلامية غير مسبوقة، على جنرال في السلطة، كان يعدّ حتى وقت قريب الممسك الفعلي برأسها.. وأقوى رجالاتها على الإطلاق.

نظرية المتفائلين كانت تضيف أن الجنرال زروال، وقد تحرر من قيود الرئاسة، ومن ضغوط الصداقة، سيحرج خصومه من الجنرالات الآخرين، ويظهرهم على أنّهم، ليس فقط، لم يتركوا له أيّ مجال للحركة والتصرف، كرئيس للدولة، بل وعملوا كل ما هو ممكن كي يفشلوا خططه ومشاريعه، الرامية إلى «استعادة الأمن والسلم والرفاهية»، على حدّ تكرار الدعاية الرسمية.. إنّه والأمر كذلك، سيقوم زروال بكل ما من شأنه أن يفضح هؤلاء، ويظهرهم على أنّهم هم أعداء السلم والاستقرار ودعاة الحل بالحرب الشاملة.. ولم يفعل زروال أيًا من ذلك. وجاء خطابه كالعادة ضعيفا في لغته، مكررا في مضمونه.

وكان رأيي دائما أنه لا «الرئيس» زروال، الذي أرغم على الرحيل المبكر، ولا من قبله «الرئيس» الشاذلي، الذي أطيح به في بداية عام ١٩٩٢، ولا «الرئيس» محمد بوضياف، الذي أغتيل أمام كاميرات التلفزيون، في نفس العام الذي تولى فيه السلطة.. لا هؤلاء جميعا، ولا الذين سيأتون من بعدهم على رأس السلطة في الجزائر، سيملكون من أمر السلطة شيئا.

وليس العلة في أن اليمين زروال، كان على قدر كبير من ضعف الشخصية، ولا لأن الشاذلي بن جديد، كان متميزا بضعف المستوى الثقافي والمثالية في نفس الوقت، ولا لأن محمد بوضياف كان يتدفق ثورية وأخلاقية، وهو ابن السبعين..

ليس هذه الصفات، محمودة كانت أم مذمومة، هي التي